مسائل في بناء عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما ـ للكعبة المعظمة

إعـــداد

الباحث/ خلف بن سالم بن خلف العتيبي
جامعة القصيم ـ كلية اللغات والعلوم الإنسانية
تخصص: التاريخ والتراث

DOI: 10.21608/aakj.2024.278915.1712

تاريخ الاستلام: ٢٣/ ٣ /٢٠٢٤م

تاريخ القبول: ٣٠/ ٣/٢٠٢٤م

ملخص:

يتحدث البحث عن مسائل في بناء عبدالله بن الزبير – رضي الله عنهما– للكعبة المعظمة، وقبل أن أذكر تلكم المسائل، قدمت بمقدمة عن عدد المرات التي بنيت فيها الكعبة خلال الدهر كله، ثم تحدثت في إشارة سريعة عن عبدالله بن الزبير– رضي الله عنهما– قبل توليه الخلافة، وبعد توليه سنة أربع وستين إلى وفاته سنة ثلاث وسبعين من الهجرة. ثم تناولت المسائل المهمة التي يروم البحث تسليط الضوء عليها من خلال المقارنة والترجيح، أحدها عن تاريخ وهدم بناء الكعبة في عهد عبدالله بن الزبير، والثانية عن سبب الحريق الذي طال الكعبة، والثالثة القول فيمن وضع الحجر الأسود في مكانه، ثم ذكرت الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: بناء الكعبة في عصر الأموي، جهود ابن الزبير المعمارية، تاريخ عمارة الكعبة المشرفة.

Abstract:

They usually talk about issues in Abdullah bin Al-Zubair - may God be pleased with them both - building the great, huge Kaaba. I mention these examples, which are presented with an introduction about the number of times the Kaaba was built during the entire era, and then he spoke in a quick reference about Abdullah bin Al-Zubair - may God be pleased with them - Before his accession, and after his accession in the year sixty-four until his death in the year seventy-three AH. Then I dealt with the important issues that the research aims to shed light on through the beginning and the weighting, one of which is about the history and demolition of the building of the Kaaba during the reign of Abdullah bin Al-Zubayr, which is based on the cause of the fire that affected the Kaaba, the difference between the lions and the opinion regarding who put the stone in its place, then he mentioned the conclusion and the most important results that I trusted her.

Keywords: Building the Kaaba in the Umayyad era - Ibn Al-Zubayr's architectural efforts - History of the architecture of the Holy Kaaba

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد.

أما بعد ... فإن الكعبة المعظمة بنيت مرات، وقد اختلف في عدد بنائها، فقيل: أنها بنيت عشر مرات، وقيل، سبعا، وقيل: خمسا، ومنشأ الخلاف أنّها هل بنيت قبل بناء إبراهيم عليه السلام، أو هو أول من بناها؟.

فإن الكعبة قد بنيت خلال الدهر كله، أربع مرات بيقين، أما المرة الأولى منها: فهي التي قام بأمر البناء فيها نبي الله إبراهيم –عليه الصلاة والسلام – يعينه ابنه إسماعيل– عليه الصلاة والسلام– وذلك استجابة لأمر الله، وقد ثبت ذلك بصريح القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]

وفي الحديث:"...، ثُمَّ قالَ: يا إسْمَاعِيلُ، إنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بأَمْرٍ، قالَ: فَاصْنَعْ ما أَمَرَكَ رَبُّكَ، قالَ: وتُعِينُنِي؟ قالَ: وأُعِينُكَ، قالَ: فإنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا، وأَشَارَ إلى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ علَى ما حَوْلَهَا، قالَ: فَعِنْدَ ذلكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إسْمَاعِيلُ يَأْتي بالحِجَارَةِ وإبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حتَّى إذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بهذا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ له فَقَامَ عليه، وهو يَبْنِي وإسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وهُما يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} قالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وهُما يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

وفي المرة الثانية: فهي تلك التي بنتها قريش قبل الإسلام، واشترك النبي صلّى الله عليه وسلم في بنائها.

وأما المرة الثالثة: فقد كانت عند ما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزتها جيوشه من أهل الشام، عند ما حاصروا عبد الله بن الزبير بقيادة الحصين بن

نمير. فأعاد عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – بنائها.

وأما المرة الرابعة: فقد كانت في زمن عبد الملك بن مروان بعد مقتل ابن الزبير –رضي الله عنهما–.

وفي هذا البحث فإنّي سأستعرضُ بعض المسائل المهمة حول الكعبة –زادها الله تعالى تشريفا– في عهد عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه–.

الأولى: تاريخ هدم وبناء الكعبة المعظمة في عهد عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما–.

الثانية: سبب الحريق الذي طال الكعبة.

الثالثة: القول فيمن وضع الحجر الأسود في مكانه.

وقبل البُداءة بالمسائل نذكر أن عبد الله بن الزبير –رضي الله عنهما– بايع لمعاوية – رضي الله عنه– فلما أراد أن يبايع ليزيد امتنع وتحول إلى مكة، فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له، فأبى، ولقب نفسه عائذ الله؛ فلما كانت وقعة الحرة وفتك أهل الشام بأهل المدينة ثم تحولوا إلى مكة فقاتلوا ابن الزبير، واحترقت الكعبة أيام ذلك الحصار، ففجعهم الخبر بموت يزيد بن معاوية، فتوادعوا ورجع أهل الشام، وبايع الناس عبدالله بن الزبير بالخلافة سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز واليمن ومصر والعراق وخرسان وبعض الشام. ولم يستوسق له الأمر[1]، فإن مروان بن الحكم غلب على الشام ثم مصر، ثم مات، فقام عبد الملك بن مروان فغلب على العراق، وقتل مصعب بن الزبير، ثم جهز الحجاج إلى ابن الزبير، فقاتله إلى أن قتل ابن الزبير في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة[2].

المسألة الأولى: تاريخ هدم وبناء الكعبة المعظمة في عهد عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما-:

ذكر الأزرقي هدم الكعبة في يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين[٣] أما البناء فلم يذكر الوقت الذي فرغ فيه ابن الزبير – رضي الله عنهما من البناء، ووافقه المحب الطبري في تاريخ الهدم و أضاف أن ابتداء بناء الكعبة عقيب هدم الكعبة، ولا يبعد أن يكون بناء الكعبة امتد إلى ليلة سبع وعشرين من رجب فكان الفراغ من بناء الكعبة في هذا التاريخ[٤].

واختار الطبري[٥] وابن كثير[٦] أن هدم ابن الزبير –رضي الله عنهما– كان في سنة أربع وستين.

أما ابن الأثير فجزم أن عمارة الكعبة سنة خمس وستين[٧] في حين ذكر القول الآخر بأنه سنة أربع وستين بصيغة التمريض "قيل". وذكر الفاسي نقلا عن المسبحي في تاريخه أن الوقت الذي فرغ فيه ابن الزبير من بناء الكعبة هو سنة خمس وستين[٨].

والذي يترجح لي أن هدم الكعبة كان في سنة أربع وستين بعد انصراف الناس من الحج، بدلالة ما جاء في صحيح مسلم[٩] عن عطاء بن رباح "... تَرَكَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ حتَّى قَدِمَ النَّاسُ المَوْسِمَ فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قالَ: يا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ في الكَعْبَةِ، أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بنَاءَهَا، أَوْ أُصْلِحُ ما وَهَى منها؟...".وأن الفراغ من بناء الكعبة كان في سنة خمس وستين .

وبهذا يكون الجمع بين أكثر الروايات؛ بأن من ذكر سنة أربع وستين قصد هدمها، وربما بُداءة عمارة الكعبة كان في آخر ذي الحجة، ومن ذكر سنة خمس وستين أراد الفراغ من البناء، أما ما ذكر الأزرقي في أن هدمها كان في شهر جمادى الآخرة ففيه نظر، فإن ما جاء في صحيح مسلم مقدم على غيره.

المسألة الثانية: سبب الحريق الذي طال الكعبة المعظمة:

الذي يظهر من خلال الروايات أن السبب هو كثرة الخيام والفرش المبسوطة مما أدى إلى احتراق الكعبة ولا خلاف في ذلك، إنما وقع الخلاف فيمن الذي بدأ بإشعال النار حتى طال إحدى الخيام فاحترقت ثم انتشرت النار في باقي الخيام إلى أن احترقت الكعبة.

تذكر بعض الروايات عن الواقدي أنه كان أصحاب ابن الزبير يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت(١٠). في حين نجد رواية تناقض ما ذكر عن عوانة بن الحكم تتهم جيش بني أمية بأنهم: "قذفوا البيت بالمنجانيق وحرقوه بالنار"(١١).

وقيل: "إن أهل الشام لما حصروا ابن الزبير سمع صوتًا ... وكانت ليلة مظلمة ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق، فرفع نارًا على رأس الرمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة ..."(١٢).

وذهب بعضهم أن جرذا جر فتيلة فيها نار، فسقطت في متاع بعض من حول الكعبة فاحترقت، وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار (١٣).

وبعد ذكر هذه الروايات يتضح أنها تتباين وتتناقض(١٤) والذي يترجح أن الكعبة لم تكن مقصودة في ذاتها بالإحراق؛ لأنه لا يمكن أن يعمد أحد من الناس إلى إحراق الكعبة عمدًا، بل جاء عن الزبير بن بكار بسند صحيح أنه لم ينسب إلى أحد من الطائفتين المسؤولية عن حريق الكعبة، وكذلك جاء عن أحد كبار التابعين من رواة مسلم لم يتهم أحدًا بإحراق الكعبة (١٥). وصرح ابن عبد البر بقوله: "وفي هذا الحصار احترقت الكعبة"(١٦).

قال ابن تيمية:" ولا شك أن أحدًا من أهل الشام لم يقصد إهانة الكعبة، بل كل المسلمين معظمون لها، وإنما كان مقصدهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق

كان لا ابن الزبير لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد إحراقها، لا هو ولا نوابه باتفاق المسلمين"[١٧].

المسألة الثالثة: القول فيمن وضع الحجر الأسود في مكانه:

اختلفت الروايات فيمن وضع الحجر الأسود في موضعه، فجاء عند الأزرقي أن ابن الزبير – رضي الله عنهما– هو الذي وضعه بنفسه[١٨].

وقيل: بل الذي وضعه هو عباد بن عبد الله بن الزبير، حيث "أمر ابن الزبير، ابنه عباد بن عبد الله بن الزبير، وجبير بن شيبة بن عثمان، أن يجعلوا الركن في ثوب، وقال لهم ابن الزبير: إذا دخلت في الصلاة، صلاة الظهر، فاحملوه واجعلوه في موضعه، فأنا أطول الصلاة، فإذا فرغتم فكبروا حتى اخفف صلاتي...فكان الذي وضعه في موضعه هذا عباد بن عبدالله بن الزبير، وأعانه عليه جبير بن شيبة"[١٩].

وعند السهيلي: أن الذي وضعه موضعه هو حمزة بن عبدالله بن الزبير، لما كان أبوه يصلي بالناس اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف فأقره أبوه[٢٠].

والذي يترجح عندي أن الذي وضعه موضعه هو حمزة بن عبد الله بن الزبير كما عند السهيلي؛ لأنه ذكره نقلا عن الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ)، وهو من أحفاد عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما– وهو أعلم الناس بأخبار مكة ونسب قريش، فقوله مقدم على غيره، ولهذا – والله أعلم– اختار السهيلي هذه الرواية ولم يذكر غيرها.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- أن ابن الزبير- رضي الله عنهما - قد فرغ من بناء الكعبة سنة خمس وستين.

٢- لم يقصد أحد من الطائفتين حرق الكعبة؛ لأن المسلمين معظمون لها.

٣- تتباين الروايات حول من المسؤول عن حريق الكعبة.

٤- يترجح أن الذي وضع الحجر الأسود في مكانه هو حمزة بن عبدالله بن الزبير، كما جاء عند السهيلي نقلا عن الزبير بن بكار.

الهوامش

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ج٣، ص٣٦٤.

(٢) انظر، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٤، ص٨٢.

(٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت، ج ١، ص٢٠٦.

(٤) انظر، الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ١، ص١٣٤.

(٥) تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص٤٠٢.

(٦) البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط ٢، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٤هـ/١٩٩٧م، ج ١١، ص٦٩١.

(٧) الكامل في التاريخ، تحقيق خليل شيحا، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٦٣٣.

(٨) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ص ١٣٤-١٣٥.

(٩) ح (١٣٣٣).

(١٠) انظر: تاريخ الطبري ج ٥، ص ٤٩٨.

(١١) المصدر السابق ص ٤٩٩.

(١٢) البلاذري، أنساب الأشراف ج ٥، ص ٣٦٩.

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) للاستزادة حول هذه الروايات ومناقشتها، انظر: حمد العرينان، إباحة المدينة وحريق الكعبة، ط١، مكتبة ابن تيمية، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(١٥) انظر: محمد الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ط ٢، دار طيبة، الرياض ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٦٧٩.

(١٦) الاستيعاب، ج ٣، ص ٢٤٣.

(١٧) منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ، ج ٤، ص ٥٧٧.

(١٨) أخبار مكة، ص ٢٠٧.

(١٩) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٢٠) الروض الأنف، تحقيق عبد الله المنشاوي، ط١، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م، ج ١، ص ٣٨٠.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل شيحا، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.

٣- البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩ هـ)، أنساب الأشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار – رياض زركلي، دار الفكر – بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، منهاج السنة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ.

٥- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٦- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٨- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) الروض الأنف، الروض الأنف، تحقيق عبد الله المنشاوي، ط١، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩- الشيباني، محمد بن عبد الهادي بن رزان الشيباني، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ط ٢، دار طيبة، الرياض ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠- العرينان، حمد العرينان، إباحة المدينة وحريق الكعبة، ط ١، مكتبة ابن تيمية، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط ٢، دار عالم الكتب، الرياض ١٤٢٤هـ/١٩٩٧م.